العولمة على جمرتح

أمواج فكرية تجرف إلى أ

تعددت وجوه العولمة التي تشكل مفهومها إبان انتهاء الحرب الباردة في العقد الأخير من القرن الماضي .. وروجت لها القوى المهيمنة في العالم لفرضها على الشعوب دون ترك خيار لرفض ملامح وأبعاد هذا النظام الذي يكرس مبدأ الكونية في كل شيء..

وقد ارتبط ومازال ـ مفهوم العولمة لدى كثير من المجتمعات، ومنها مجتمعنا، بالعديد من الثقافات والممارسات السلبية التي تصدرها الشبكة العنكبوتية (الساحرة) فكراً وثقافةً وممارسات هدامة تكسب السلوك السيء ..

الشبكة العنكبوتية (الانترنت) هي البوابة الرئيسية للعولمة، وقد يجد المجتمع والفرد نفسه مجبراً على الانخراط في هذه القرية العالمية الصغيرة، فيما لوحظ ان الشباب والنشء أكثر الفئات تعاطياً مع الانترنت دون استيعاب لمفاهيمها واغراضها، ما اوقع بعضهم في براثنها الرامية الى تمييع هذه الشريحة من الأبناء وإفساد أخلاقهم وتعطيل قيم ومبادئ المجتمع ..

السطور التالية تتساءل عن سبب غياب مفهوم العولمة عن الغالب من شرائح المجتمع؟ وإذا كانت السياسة العالمية تقضي بضرورة انخراط الشباب في مجتمع العولمة، فلماذا يتعاطون مع مساوئ الانترنت ولا يستفيدون من إيجابياتها؟

وهذا التحقيق سيكشف أيضا حقيقة ان عامة الناس في المجتمع مازالوا غير مستوعبين لمفهوم العولمة رغم تعاطيهم مع جوانبها السلبية، وتكوين صورة عنها بأنها المجهول الحتمي المخيف ..

تحـقـيق/ أسامة حسن ساري

من البديهي أن نسعى أولاً إلى معرفة مفهوم العولمة، والذي استطعنا من خلال احدى الصحف الالكترونية ان نحصل على تعريف مختصر وشامل للعولمة جاء على لسان الدكتور/ عبدالعزيز التويجري / مدير عام المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) بأنها (منظومة من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية ومن الأنظمة الاعلامية والمعلوماتية ومن أنماط السلوك ومناهج الحياة، يراد اكراه العالم كله على الاندماج فيها وتبنيها، والعمل بها والعيش في اطارها ،، وذلك هو العمق الفكري والثقافي والايديولوجي للنظام العالمي الجديد)

من زاوية ثانية ارتبط مفهوم العولمة واغراضها بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات (الشبكة العنكبوتية على وجه الخصوص) وأجبر مختلف الشعوب والدول على الانخراط في العولمة لتحافظ على توازن اقتصادها وتتمكن من الوصول إلى آليات عمل مشتركة لصد الهجمات الثقافية والحضارية التي توجهها الدول الأخرى على الشعوب العربية وبالتالي الوصول إلى وسيلة للتحاور معها..

وبات مُسَلَّما بأن التعامل مع العولمة والانخراط فيها لن يظل مقتصراً على المؤسسات والهيئات بل امتد الأمر الى الأفراد فدخلت الانترنت الى غرف النوم .. فصار لزاماً ان يستوعب المجتمع بمختلف شرائحه وفئاته مفهوم العولمة، ويجد عامة الناس من يوجههم ويرشدهم إلى كيفية التعامل مع قنوات العولمة (الانترنت) للاستفادة من إيجابياتها بدلاً من التنديد بسلبياتها وترك عامة الناس يقعون في براثنها.

الشارع اليمني

حتى لحظة تدوين هذه السطور مازال الكثير من عامة المجتمع في الشارع اليمني ينخرطون في العولمة ويتعاملون مع الانترنت وخاصة الأطفال والمراهقين دون سن العشرين بطرق عشوائية ودون اهداف محددة .. مفهومهم للعولمة غائب وبالتالي لا يعرفون ماهي إيجابياتها وسلبياتها، وماذا يريدون منها وماذا تريد منهم..

والمأساة ان الكثير من أولياء الأمور لا يعرفون ماهي الانترنت، إنما يسمعون هذا الاسم تلوكه افواه اطفالهم .. ولذا لا يهتمون بمراقبة ابنائهم المتعاملين مع الانترنت لجهلهم بمحتواها ورسالتها.

ولو لاحظنا موقع اليمن بين سائر الدول فيما يتعلق بتسهيل طرق الوصول الى الانترنت ووضعها في متناول كافة مؤسسات وافراد المجتمع .. نجد أن اليمن ثاني دولة عربية بعد جمهورية مصر تعلن مجانية الانترنت.

وشهدت الانترنت في اليمن تطورات متسارعة، حيث تم انشاء مدينة للعلوم والتكنولوجيا لتحقيق هذا الغرض .. وقد حمل الاشتراك المتسارع من قبل الناس في الانترنت مؤشراً لتطور الخدمة وارتفاع مستوى الوعي حيث تشير الاحصائيات التي حصلنا عليها من الادارة العامة للانترنت وتراسل المعطيات في مدينة العلوم والتكنولوجيا إلى ارتفاع عدد المشتركين من ٢٠٣٠ مشتركا خلال العام ٢٠٠٢م الى ٤٠,٠٠٠ مشترك في العام الجاري ٢٠٠٤م ويشكل مشتركو المنازل نسبة ٦٠٪ من اجمالي المشتركين ... فيما ارتفع عدد المستخدمين للانترنت من خلال المقاهي المنتشرة في شوارع مختلف المدن اليمنية من ٥٠ الف مستخدم يومياً عام ٢٠٠٢م الى ما يزيد عن نصف مليون مستخدم يومياً في الوقت الراهن.

ومقاهي الانترنت ارتفع عددها من ٣٠٠ مقهى في عام ٢٠٠٢م الى ٧٠٠ مقهى في عام ٢٠٠٣م، ثم انخفاضها الى ٥٠٠ مقهى بعد ازالة الحواجز الخشبية وكشف اجهزة الكمبيوتر كوسيلة لمنع تصفح المواقع الأباحية .. وتستأثر امانة العاصمة صنعاء بحوالي ٥٠٪ من اجمالي عدد المقاهي..

هذا التطور المتسارع في انتشار الانترنت واتساع دائرة مستخدميه ووصوله الى المنازل .. ألا يضعنا أمام تساؤل حول كيفية تعامل افراد المجتمع مع هذه التكنولوجيا؟ وماذا يعرفون عن العولمة وهم يلجونها من إحدى بواباتها الرئيسية الشبكة الساحرة؟..

ضحايا الانترنت

نتائج استطلاعنا الذي شمل الكثير من مقاهي الانترنت المتناثرة في شوارع مدينة صنعاء توصلت الى ان اكثر من ٦٥٪ ممن شملهم الاستطلاع من مستخدمي الانترنت رواد المقاهي، أطفال ومراهقين تتراوح اعمارهم بين ٩ سنوات ـ ١٨ عاماً ليس لهم هدف محدد لدخول الانترنت وانما خبط عشواء لهثا وراء المواقع الإباحية ومواقع الحوارات المباشرة (الشات) والدردشات غير الأخلاقية والجنسية ..

بينما ٣٥٪ من مرتادي المقاهي ، شباب أعمارهم تقع بين ٢٠ ـ ٣٥ عاماً، ٥٠٪ منهم يرتادون مواقع إباحية او مواقع الحوارات المباشرة والدردشة مع الجنس الآخر بتجاوز الخطوط الحمراء وخدش الحياء العام ... ومعظم هؤلاء يقضون امام شاشة الانترنت قرابة أربع ساعات يومياً بحسب ما أفادنا أصحاب مقاهي الانترنت.

وعلى النقيض -للأسف- عندما نجد شعوبا ومجتمعات يجدفون في بحار العولمة ويصارعون امواجها بخبرة ودراية ويحولون مسار هذه الامواج العاتية لتصطدم بمجتمعنا العربي لتجرفه إلى اعماق مجهولة ونهايات مؤلمة . بينما اولياء الامور في مجتمعنا آذنن من طين واذن من عجين لا يفقهون ماهي العولمة وكيف يتعامل اطفالهم مع معطياتها

في واقعنا يدمن الاطفال على الانترنت والمواقع الإباحية وغرف (الشات) والمنتديات، التي تؤثر بفكرها وثقافتها المنفتحة على نمو شخصية الفرد وتدمر مستقبله .. واطفال اليمن لا تنفرد بهم هذه المأساة ولا يشكلون وحدهم ملامح هذه الظاهرة، بل ان جميع شعوب العالم العربي والافريقي وغيرهم، يعانون من وقوع اطفالهم ضحايا لما تروج له الانترنت من افكار مشوهة وثقافات جنسية ومؤثرات عاطفية ودعارة ومخدرات.

مخدرات ودعارة الاطفال

حتى شهر أكتوبر ٢٠٠٠م أكدت دراسات واحصائيات عالمية أن شبكة الانترنت تتضمن اكثر من ٦٥٠ مليار وثيقة .. وتجاوز عددها حتى العام الجاري ٢٠٠٤م ٨٠٠ مليار وثيقة .. ولكم ان تتخيلوا عدد الوثائق الجنسية والاجرامية وتلك المتعلقة بالمخدرات والعنف ضد الأطفال .. وعشرات الآلاف من المواقع الجنسية التي تضم ملايين الصور والأفلام الإباحية وقنوات المحادثة والدردشة الجنسية..

لقد نشرت صحيفة الجزيرة (نت) السعودية، إحصائيات عن " اليونيسيف" تشير الى ان ١٠٠٪ من اطفال الشوارع في العالم بات بالفعل الشارع مقراً لسكناهم واعمالهم، وكثير منهم روابطهم بأسرهم قد تقطعت، فيتعرضون لتعاطي المخدرات والادمان، ويتم استقطابهم من قبل عصابات السطو والغش والسرقة، وشبكات الدعارة المحاطة باقصى درجات التكتم.. كما أعلنت اليونيسيف في ذلك الحين قبل عدة سنوات ان ثمة اكثر من ٨٠٠ موقع على شبكة الانترنت للترويج لدعارة الاطفال مما يعرضهم للإصابة باخطر الامراض الفتاكة مثل الايدز.

واورد بحث نشره موقع اسمه (الشناوي) الالكتروني للبحوث ان الانترنت اضاف إلى اولياء الامور مخاوف جديدة لا تقتصر على رفقاء السوء فقط ... بل يمكن ان يضاف اليها مواقع السوء، ومن تلك المواقع المنتشرة في الانترنت والتي لا تتعلق بالترويج للمخدرات وتشويق النشء لاستخدامها فقط، بل مواقع تتحدث عن كيفية زراعة وصناعة المخدرات بكافة اصنافها وانواعها وبأبسط الوسائل المتاحة..

والامر هنا لا يحتاج الى رفقاء سوء، بل يمكن للمراهق الانزواء في غرفته والدخول الى أي من هذه المواقع ثم تطبيق ما يقرأه..

بحث " الشناوي" هنا قال: إن احد الخبراء التربويين في (بتسبيرج) بالولايات المتحدة أكد هذه المخاوف مشيراً الى ان ثمة علاقة يمكن ملاحظتها بين ثالوث المراهقة والمخدرات والانترنت.

وثقافة المخدرات لا تقتصر على تلك المواقع فقط، بل تساهم المنتديات وغرف الدردشة فيها ورغم انتشار المواقع الالكترونية المروجة للمخدرات وتعليم كيفية صنعها الا انها لم تدق نواقيس الخطر، ولم يهتم بآثارها السلبية وخاصة على النشء بالشكل الذي فعلته المواقع الاباحية .. وكله في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاعلامية غير المتوازنة والتي انعكست آثارها سلباً على حياة المجتمع ومستوى معيشته وثقافته ووعيه وادت في كثير من الاحيان الى تفكيك الروابط الاجتماعية وانهيار اسر بكاملها ، وتشرد الشباب والاطفال في شوارع المدن ، بالاضافة الى انعدام الرقابة على هذه الشريحة من الابناء الهاربين من واقعهم القاتم والباحثين عن ذواتهم فيجدون في الانترنت متنفساً لهم ولكن في الجوانب السيئة من الشبكة الساحرة.

خبراء:

عولمة الانترنت تغزو الأسواق وتزيد البطالة وعيبنا استهلاكها بشراهة

دردشات خادشة

أصبح بإمكان البعض النظر الى الانترنت كمهدد للأمن الاجتماعي في ظل الظروف المشار اليها سلفا .. ورغم زوال العامل الذي كان يدفع الكثير في مقاهي الانترنت المحلية الى تصفح المواقع الإباحية ويشجعهم على ذلك وهي الحواجز الخشبية وكشف واجهات اجهزة الكمبيوتر، إلا أن «١٣» عاما وثلاثة من قرنائه الاطفال لم يمتنعوا عن تصفح موقع اباحي وجدوا فيه اشباعا لنزواتهم الصبيانية .. وبشكل سافر أمام رواد ذلك المقهى في احد الشوارع الذي اصبح مالكه عاملاً مساعداً للنشء لتصفح هذه المواقع الخليعة لغرض جذب الزبائن وتحقيق الربح المادي وخاصة انه حدد ثمن الدقيقة الواحدة (ريالين) وزود اجهزة الكمبيوتر ببرامج (بروكسي) وغيرها من البرامج التي تتجاوز سياسة الحجب وتتحدى برامج حجب المواقع الإباحية التي قال مدير عام الادارة العامة للانترنت وتراسل المعطيات بمدينة العلوم والتكنولوجيا المهندس/ عامر هزاع/ إن هذه البرامج كلفت وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات اكثر من ٦٠ ألف دولار.

من ناحية اخرى يؤكد بعض الشباب الذين وجدناهم في مقاهي الانترنت ومضى عليهم فترات طويلة في التعامل مع الانترنت ان حجب المواقع الإباحية لم يعد مجدياً، وخاصة مع المشتركين القدامى في هذه المواقع.

ويشير / ف/ ١٧/ عاماً / انه لم يعد في حاجة الى البحث عن المواقع الاباحية او البحث عن برامج لتجاوز وكسر الحجب، كون الكثير من هذه المواقع صارت توافيه بمئات القوائم البريدية الإباحية على بريده الالكتروني - مجاناً ودون أي مقابل او اشتراكات تصله كل يوم الأفلام والصور الخليعة.

وفي تطورات مؤسفة اهتدى كثير من الاطفال إلى بدائل المواقع الاباحية وهي غرف الدردشة والمنتديات ، وفيها وجدوا ضالتهم، وفيها يفرغون انفعالاتهم لمدى ٣ ـ ٤ ساعات يومياً ..

صارت غرف الدردشة والحوار المباشر تشكل خطراً كبيراً على الاطفال والفتيات في مجتمعنا اليمني .. ففي هذه الغرف يلتقون بأسماء مستعارة، ويدردشون مع بعضهم البعض ومع شباب وفتيات من مختلف الدول العربية عن الجنس والممارسات الخليعة ويتبادلون عناوين ايميلاتهم (البريد الالكتروني) وخاصة على موقع (msng(الهوتمايل) وموقع (الياهو)، فهذه المواقع تقدم لهم خدمة (المسنجر) الدردشة المباشرة والمضاف اليها في بعض اجهزة الكمبيوتر خدمة (الكاميرا) التصوير الحي والمباشر للاطراف المشتركة في الدردشة ومشاهدة بعضهم البعض .. ووجد النشء والشباب الكثير من الفتيات العربيات اللاتي يدردشن من غرفهن في المنازل، ولا يمانعن من القيام بحركات مخلة أمام الكاميرا واظهار مفاتنهن واشياء اخرى، ليشاهدها الشباب الذي يدردش معهن على الطرف الآخر..

اتجاهات الزوار

تعامل الاطفال والنشء والمراهقين مع الانترنت ينتهي بمآس دامية، إذ صار الانتشار الواسع للصور والافلام الاباحية على شبكة الانترنت يشكل قضية ذات اهتمام عالمي في الوقت الراهن .. بسبب الازدياد الهائل لأعداد مستخدمي الانترنت حول العالم.. حيث يوجد عدد كبير جداً من القوائم الجنسية والتي اصبحت اكثر تخصصا .. فهناك قوائم خاصة للشواذ من الجنسين .. ومن المؤسف انه وجدت بعض المواقع الشاذة بمسميات عربية .. والأدهى والأمر أن يتم الربط بين المواقع الإباحية والإسلام، كموقع سمي نفسه (السحاقيات المسلمات)

وكشفت إحدى الدراسات نشرها موقع " الشناوي" للبحوث والدراسات ان معدل التدفق على المواقع الاباحية في اوقات العمل التي تبدأ من الساعة التاسعة صباحاً الى الخامسة عصراً تمثل ٧٠٪ من اجمالي نسبة التدفق على تلك المواقع .. كما كشفت دراسة قام بها باحث آخر مهتم اسمه / مشعل القدهي / قبل أربعة اعوام نشرها نفس الموقع بأن هناك اقبالا كبيرا جداً على المواقع الاباحية حيث تزعم شركة ((play boyالاباحية بأن ٤,٧ مليون زائر يزورون صفحاتهم على الشبكة اسبوعيا، وان بعض الصفحات الإباحية يزورها ٢٨٠٣٤ زائرا يوميا، وان هناك مائة صفحة مشابهة تستقبل اكثر من ٢٠,٠٠٠ زائر يومياً، وأكثر من ٢٠٠٠ صفحة مشابهة تستقبل اكثر من ١٤٠٠ زائر يومياً .. وان صفحة واحدة من هذه الصفحات استقبلت خلال عامين أكثر من (٤٣) مليون زائر ، كما وجد أن ٨٣,٥٪ من الصور المتداولة في المجموعات الاخبارية هي صور اباحية .. وان اكثر من ٢٠٪ من سكان امريكا يزورون الصفحات الإباحية، حيث تبدأ الزيارة غالبا بفضول وتتطور الى ادمان .. وغالباً لا يتردد زوار هذه المواقع من دفع رسوم مالية لقاء تصفح المواد الاباحية بها او شراء مواد خليعة منها .. وقد بلغت مجموعة مشتروات مواد الدعارة في الانترنت في عام ١٩٩٩م ما نسبته ٨٪ من دخل التجارة الالكترونية البالغ ١٨ مليار دولار امريكي.. في حين بلغت مجموعة الاموال المنفقة للدخول على المواقع الإباحية ٩٧٠ مليون دولار.. وكان هناك توقعات كبيرة لارتفاع المبلغ ليصل إلى ٣ مليارات دولار في عام ٢٠٠٣م وقد اتضح للباحث المذكور آنفا أن اكثر مستخدمي المواقع الاباحية تتراوح أعمارهم مابين (١٢-١٥ عاما) في حين تمثل الصفحات الإباحية أكثر صفحات الإنترنت بحثا وطلبا..

آثار سيئة

وتطرق الباحث/ مشعل/ الى دراسة اجرتها منظمة غربية اسمها (أدسيت) حول إدمان المواقع الاباحية تؤكد على أن الموقع الإباحية أصبحت مشكلة حقيقية تطفو على سطح العالم بفعل عولمة تكنولوجيا الإتصالات وتقنية المعلومات وبالتالي فإن الآثار المدمرة لهذه المواقع لاتقتصر على مجتمع دون آخر، ويمكن التماس آثارها السيئة من خلال عدة عوامل تتمثل في (ارتفاع جرائم الإغتصاب بصفة عامة واغتصاب الأطفال بصفة خاصة، والعنف الجنسي،وفقد العائلة لقيمها ومبادئها وتغير الشعور نحو النساء الى الابتذال بدلاً عن الاحترام .

ويبدو أنه لكثرة المواقع الاباحية على الانترنت والتي يقدر عددها بحوالي ٧٠,٠٠٠ موقع، د ور كبير في إدمان مستخدمي الانترنت عليها حيث اتضح أن نسبة ١٥٪ من مستخدمي الانترنت البالغ عددهم (٩,٦٠٠,٠٠٠) شخص تصفحوا المواقع الاباحية في شهر ابريل عام ١٩٩٨م.

ويشير البحث إلى أنه تم القيام بمحاولة لحصر القوائم العربية الإباحية في بعض المواقع على شبكة الانترنت، ومنها موقع (الياهو) فوجدت أنها تصل إلى ١٧١ قائمة بلغ عدد اعضاء أقل تلك القوائم ٣ في حين وصل عدد أكثرها أعضاء إلى ٨٦٣ أما موقع (قلوب لست) فقد احتوى على ٦ قوائم اباحية عربية في حين وجدت عدد ٥ قوائم عربية إباحية على موقع (توبيكا).

ولعل المعطيات والارقام السابقة تبرز المشكلة بمخاطرها الجسيمة المتربصة بالشباب والاطفال الذين تزداد نسبة تدفقهم وخاصة الاطفال على هذه المواقع وغرف الدردشة والمنتديات،

وهو مايظهر الوجه الآخر والاكثر سلبية لأهم البوابات الرئيسية للعولمة.

وأكد متخصصون ان هذا الوجه المخيف للانترنت ليس

الاستخدام الخاطئ يصنع المفاهيم الخا